الخصائص المشتركة بين الأدب المهجري والأندلسي

*الحافظ عزيز الرحمٰن
**الدكتور نور زمان مدني

Abstract:

The article explicits the common characteristics of the Arabic literature of migrants and the Arabic literature in Andalus (now Spain).

Arabs invaded Spain in 8th century and ruled the country for about 8 centuries. Likewise in the past century, Many Arab writers migrated to America (especially North America) and produce literature. Both the literati have great significance in Arabic literature.

The article discusses the similarities of the two literatures. Both literatures have some common aspects. Both were written by Arabs but not in their home countries. Both were influenced by other literatures. In both literatures we find national affiliation towards their origin. They both explore nature and things. Nostalgia and alienation are also known. They also introduce a new type of stanza called ''الموشحات''.

الأدب بهجرته من أمة الى أخرى يثبت حيويته ومرونته وصلاحيته للدوران فى أقطارالفكرالإنساني،وهجرة الأدب العربي ليست غريبة، لقد توجه صقر قريش عبدالرحمن الداخل الى بلاد الأندلس وغرس عَلم بني أمية فيها وأسس ملكاً عربياً مطوراً في الغرب ونشرفيه اللغة العربية وعلومها، فازدهرالأدب العربي وعظم تأثيره إلى حد أن الأسبان نسوا لغتهم وثقافتهم وأقبلوا على تعلم اللغة العربية وفنونها حتى أصبحت أرض الأندلس كأنها جزء من المشرق العربي.وذلك كله بسبب شدة حب الوافدين العرب لتراثهم، فاستمرالنفس العربي المشرقي يتدفق في روح الحياة الأندلسية.

* المحاضر بقسم اللغة العربية الجامعة الاسلامية بهاولبور
** الاستاذ المساعد بالجامعة الوطنية للغات الحديثة

وهذايعد أكثر شبها بما فعل الأدباء المهجريون حين هاجروا إلى أمريكاالشمالية والجنوبية حيث أن تيارالمشرق كان قويا في نفوسهم حتى استحوذعلى أدبهم ولم يسمح لهم بالخروج عنه.المهجريون شأنهم شأن الأدباء الأندلسيين فى التأثر بالتراث العربى الشرقى حيث ظهرفى أدبهم وشعرهم أثر قوى من فكرالمشارقة وفلسفتهم. وهناك خصائص أخرى متشابهة بين الأدبين الرفيعين سنحاول إلقاء الضوء عليها في البحث.

وقد اشتمل البحث على تمهيدٍ و اتجاهات جديدة لدى الشعراء المهجريين والأندلسيي، تناولت في التَّمهيد الإنتماء القومي والوطني في الأدبين.

أما بالنسبة إلى الإتجاهات الجديدة فقسمتها إلى أربعة محاور ، أولها إستكشاف كنه الطبيعة والأشياء، ثانيها التجديد في مسارالموضوعات الشعرية، ثالثها الموشحات، ورابعها الحنين والاغتراب.

الإنتماء القومي والوطني

العلاقة بين الأدب الأندلسي والمهجري وثيقة راسخة جدا ،يلخص الأستاذ عبدالدايم أسباب تأثر المهجريين بالأدب الأندلسي في نقاط تالية:[1]

أ- يرجع تأثر الأدب المهجري بالأدب الأندلسي إلى صلة الأمريكان الذين يعيش بينهم المهجريون بالأسبان وأهل الأندلس.

ب- كذلك التشابه في ظروف الهجرة وإن اختلف الزمان والمكان والهدف،يقول حبيب مسعود: فالعرب دخلوا الأندلس فاتحين ونشروا هيبتهم فدرج الأدب والعلم في ظلال أعلامهم وزهى الشعر في خمائل مجدهم،أمانحن فقد دخلنا أرض كولمبس مسترزقين طالبين عطفا،سائلين عدلا،فلاتبرز تسمية بيننا بالأندلس، إلا إعتبارنا أننا نشرنا الأدب العربي في البلدالغريب وفي الأميين من قومنا "هو فتح مبين" وأن الإنصراف إلى الأدب هونوع من الإستشهاد.

ولقد حملت نفوس المهجريين كل اعزاز وتقدير وحماس وتعصب لهذه الدولة التي قامت في الأندلس وبنت مجداً عريقاً دام أكثر من ثمانية قرون ، وهذا الشعور ولد فيهم العزائم والهمم وأثار فيهم نخوة الفخر والإعتزاز بهذه الأمجاد.

ج- اتصل المهجريون ببعض شعراء الأسبان الذين كانوا يذكرونهم بعهود الأندلس الغابرة كالشاعر الأسباني الشهير (فرنسيسكو فيلا سبازا) الذي عاش مدة عمره في البرازيل واتصل به عدد من شعراء هنا:مثل فوزى المعلوف وقد ترجم مطولته(بساط الريح) إلى اللغة الأسبانية وكتب مقدمتها.

تأثر المهجريون في بعض أفكارهم بالشعراءالعرب الكبار مثل المتنبي وأبي العلاء وأبي نواس وغيرهم.لقد أطلق الأستاذ صالح جودت على الشاعر المهجري الياس فرحات لقب "**المتنبي الجديد**"[2] لأنه يكثر في أشعاره الحكم والأمثال مثل المتنبي،يقول[3]:

وماهين حق لاسلاح لريه وأضعف أنواع السلاح التأدب

ولولا نيوب الأسد كانت ذليله تساط وتعنو للشكيم وتركب

وكم ظالم يستبعدالناس عنوة وحجته الكبرى الحسام المشطب

ويقول:[4]

أنا من يرى أن الرياء معرة وأن خبيث القول في الصدق طيب

وما أنا إلا كالزمان وأهله أعاف وأستحلى وأرضى وأغضب

تعبت إذا استنتظرت خيرا من الورى ومستقطرالسلوى من الصاب يتعب

والشاعر ايليا أبوماضي عندمايقول:[5]

لم يبق مايسليك غير الكأس فاشرب ودع للناس ماللناس

وانس الهموم فليس يسعد ذاكر واسق النجوم فإنها جلاسى

واصرع بها عقل النديم ولبه مانغص الحاسى كعقل الحاسى

فإنه يذهب قريبا في التأسي بأبي تمام الى حدبعيد في قوله:[6]

دعني وشرب الهوى ياشارب الكاس فإنني للـذي حسيتـه حاسى

والياس قنصل بعد أن يلج في أسباب الحيرة وينهمك،يكتشف أخيراً أن مبعث ذلك هوالإنسان نفسه،يقول:[7]

يانفس لن تجدي السبيل فاكفني هذا الضياء فماالضياء بعسفي

مازلت أبحث ممعنا في حيرتي وأجدخلف الوهم جد تلهف

حتى رجعت إلى الشكوك مصدعا ورأيت أني مصدرالسر الخفي

إنه في هذا القول يجارى أبا العلاء في قوله:[8]

والذي حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جماد

ويتحدث الأستاذ أحمدضيف من ارتباط العربي بشعره أينما حل، فعندمانزل بلادالأندلس الجميلة بذر بذوره الأصيلة فيها،يقول:"**جاء الشعر بلادالأندلس بصبغته الأولى البدوية ، ومالبث أن أخذ صبغة جديدة باتساع التصور واختلاف المناظر والاطلاع على كثير من العلوم والآراء والميل إلى مزج الحركة العقلية بالحركة الاجتماعية، فتشمل كل مظاهر الإبتكار ومرافق الحياة، ولكن كثيراما كان الشعراء يرجعون في أساليبهم وأفكارهم إلى الأساليب والأفكارالبدوية ،إن العرب من أشدالأمم عصبية وحنيناً إلى وطنهم وعيشتهم الأولى**".

ثم يؤكد الصلة الحتمية التي تربط الشعر في الأندلس بالشعر في بغداد وغيرها فيقول"**والذي يقرأ الشعر الأندلسي يجده أخا للشعر في بغداد بل في بلادالعرب نفسها من حيث الصفات والموضوعات التي كانت عندالقدماء**"[9].

إن الأستاذ محمد رضا الشبيبي أديب العراق يقدم رأيه في هذا الموضوع ويقول: "**إن الأندلسيين قد استعاروا أسماء حواضرالشرق فأطلقوها على حواضر معروفة في الأندلس والمغرب فشبهوا أشبيلية بحمص وغرناطة بدمشق وفاس ببغداد إلى غيرذلك ، وأحدثوا بلدة سميت البصرة تشبيها لها بالعراق**".

ثم قال الشبيبي تعقبا على ذلك: " **وهذا مايذكر للمغاربة والأندلسيين ويدل على فضلهم وتواضعهم ،ضرب من الإعتراف بسبق المشارقة وتفوقهم في العلم والتعليم والبحث والتأليف**"[10].

عندالتأمل في دراسات بعض الباحثين المحدثين والمعاصرين نجدهم ينطلقون في بحوثهم حول الأدب العربي في الأندلس من واقع نظرية الناقدوالمؤرخ الفرنسي (تين) التي تعالج درس الآداب العالمية وفق منهج موضوعي يتسم بطابع الحتمية ،وترجع في مضمونها إلى ثلاثة عوامل تتركزعلى أساسها خصائص الشعوب الثقافية وهي:

1- عامل الجنس.

2- عامل الزمان.

3- عامل المكان.

هذه العوامل جعلت أكثرالدارسين المعاصرين بأن الأدب في الأندلس ماهو إلا صدى للأدب في المشرق.وممن سار في نفس هذا الاتجاه المستشرق الأسباني (جارثيا جومت) صاحب كتاب "الشعر الأندلسي " والذي كتب فيه " لقد كان الشعرالعربي في الأندلس في ذلك الحين صدى خافتا لماكان يتردد في جوانب المشرق القصى من

شعر ولكن أصوله ثبتت في التربة الأندلسية" ثم يقول: " **وإننا لنرى في شعر أولئك الآخرين كيف انتقل الشعر رويدا رويدا من المنهج التقليدي الإتباعى القديم إلى نهج المحدثين من شعراء البلاط وإن بعضهم قد نسج على منوال شعراء الجاهلية فجعلوا شعرهم دعوات إلى الحرب ونقاش لخصومهم**"[11].

ولأن معظم الدارسين لنظرية (تين) يلحون كثيرا على عنصرالمكان ويرون أن الأدب العربي في الأندلس يجب أن يكون تعبيره عن البيئة واضحا ويجب أن تبرز شخصيته الاقليمية المستقلة ومن ثم تصبح له تقاليده الفنية الخاصة به،لكنهم عندمايرون إلى الأدب الأندلسي يجدونه باهت الشخصية ضعيف الملكات متسما بالتقليد.

الأستاذ أحمدضيف يجيب هذه الفئة من الدارسين ويقول: ان للأندلسيين بيئتين :

أحداهما: أقليمية. والثانية روحية أو ثقافية.

أماالبيئة الأولى ؛فتلك هو التجديد في الموضوعات وبخاصة في مجال الطبيعة والإجتماع.

وأماالبيئة الثانية؛فهي موجودة هنالك بعيداً في الوطن الأم بالشرق الذي تجمعهم فيه وبأدباءه تقاليدروحية وثقافية وفنية واحدة[12].

إذاً، الانتماء المشرقي قد جاء من قبيل الطبع الذي طبع عليه الشخص العربي من الاعتزاز بأصله وبعروبته وبوطنه ، فإذا مارحل الى بيئةٍ جديدةٍ عمل هو ومن معه على تعريبها من خلال نشردينه ولغته وأدبه وحضارته ، وذلك محاولة منه في توفير حياة تشعر بعدم الغربة ، وأنه مازال يعيش في بيئة أشبه بيئته الأولى وإن بعدت المسافات ، محاولاً قدرَجُهده أن ينقل عاداته وتقاليده معه ليجعل من الوطن الجديد امتداداً لبِيئتَه السابقةِ وليس بمنفصلٍ عنها[13].

وإننالو قرأنا الشعرالمنسوبَ لِطارق بن زياد[14] وشعرَأبي الأجرب الكلابي[15] وأبي الخطارحسام بن ضرار[16] والأمير عبدالرحمن الداخل [17] والأمير الحكم بن هشام [18] لوجدناه يحوى تلك الخصائص الشعرية التي عرفها الشعر

المشرقي ،إذنجدفيها قوة ،كمانجد فيها فروسية مستمدة من حياة الشاعر ،كمانجدفيها خشونة ومتانة في السبك تماما مثل الأدب الشرقي.

لهذا نستطيع أن نقول: إن الأدب الذي ظهرَ على أرضِ الأندلس خاصةً منذالفتح الإسلامي الى عهد عبدالرحمن الثاني، هو أدب لايمثل سوى صورة ؛ بل هو جزء من الأصل المشرقي، وكل مايفرق بينه وبين ماقيل في المشرق، البعدُ المكاني ليس إلا فهو بصورة ذلك لأن الصورة قدتحمل قيمة تضاف الى الأصل ، وقد تنطوي على بُعدٍ معرفي[19].

فلاغرابة أن نجد على تراب الأندلس أدباً مشرقياً،قاله الطارئون من المثقفين مثل ابن الأجرب،يقول[20] :

دون الصميل شريعة مورودة لايستطيع لها العدو ورودا

فت الورى وجمعت أشتات العلا وحميت مجدا لاينال وجودا

فإذا هلكت فلاتحمــل فارس سيفا، ولاحمل النساء وليدا

وينشد أبي الخطار حسام بن ضرار عندما أخذ بثأر ابن حواس[21]:

فليت ابن حواس يخبر أنني سعيت به سعى إمرئ غيرعامل

قتلت به تسعين تحسب أنهم جذوع نخيل صرعت في المسايل

ولو كانت الموتى تباع اشتريته بكفى ومااستثنيت منها أنــاملي

من الأشعارالتي تروى لعبدالرحمن الداخل قوله :

أيهاالراكب الميسم أرضي إقرأ من بعضي السلام لبعضي

إن جسمي كماتراه بأرض وفؤادي ومالكيــه بأرض

قدر البين بيننا فافترقنـا وطوى البين عن جفوني غمضي

قد قضى الله بالبعاد علينا فعسى باقترابنا سوف يقضي

هذه الأبيات ذات دلالة هامة لأنها تصور نوازع الأمير الباسل إلى مطارح عزته بالمشرق ، فجسمه بالأندلس وحده ولكن فؤاده بالمشرق.

وعندما رأى نخلة جاءت من المشرق تنمو ضمن الأشجارالأخرى في الحديقة هاجت أشجانه وجعلته يتذكر موطنه وموطن هذه النخلة ، فأنشد قائلاً[22]:

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة تناءت بأرض الغرب عن بلدالنخل

فقلت شبيهي في التغريب والنوى وطول التنائي عن بني وعن أهلي

نشأت بأرض أنت فيها بغربة فمثلك في الإقصاء والمنتأي مثلي

إن هذا كان شأن الداخل"**فالحنين أظهرمدى تعلقه بالمشرق ،وعن عمق المرارة التي عاناها من التشرد ، وقدظل هذا الشعورقوياً في أعماقه رغم ماأدركه من مجد وشاده من ملك**"[23] ذلك الشعورأدى الى حرصه على تكوين مجدٍ ثقافيٍ لمملِكَته في الأندلس ،ولم يكن أمامه سوى الفكرِالذي مصدرُه بلادُ المشرق،فقد وُجِدَ فيه فرصة للتعبير عن حَنينِه ،وليجعل من الوطن الجديد امتدادا للوطن الأم[24] فقد شجع على الهجرة إليها ،فقصدها جمهرة من علماء المشرق وأدباءه،كما قصدها الكثيرمن الأمويين من الفارين من بطش العباسيين[25].

وانظر الى اشعار الأندلسي محمدبن أحمدجبيرت614هـ يفضل فيها المشرق موطنه الأصيل[26]:

لايستوى شرق البلاد وغربها الشرف حاز الفضل بإستحقاق

انظر جمال الشمس عندطلوعها زهراء تعجب بهجة الإشراق

وانظر اليها في الغروب كئيبة صفراء تعقب ظلمة الآفاق

وكفى بيوم طلوعها من غربها أن تؤذن الدنيا بعزم فراق

إتجاهات جديدة

لانستطيع أن ننكر أثرالإقليمية في الأدبين: الأندلسي والمهجري، فدائماً توجد في كل اقليمٍ صفات تميز أدبه بعض التمييز من آداب الأقاليم الأخرى.فكل منهما يستمد في الأساس أصول ثقافته وزاده الفكري من المشرق ولكن بسبب التحولات الثقافية والاجتماعية التي تعرض لها الأدب الأندلسي والمهجري؛ كان من الطبيعي للشعر والفكر أن يتأثرا بهذا التطور وأن يتجاوزا حدود الذات ويتطلعا إلى الحياة. والغريب أن الإتجاهات التى ظهرت في الأدب المهجري هي نفس الإتجاهات التي ظهرت في ساحة الأدب الأندلسي.

ظهرت اتجاهات جديدة قالبية ومعنوية عندالمهجريين بسبب الالتقاء الفكري بين شعراء مدرسة الديوان وأدباءالمهجر،يلخص مقاييس جودة الشعر عند مدرسة الديوان في ثلاثة نقاط،وهي ماتؤمن بها مدرسة أدباءالمهجر:

1- إن الشعر قيمة إنسانية وليس بقيمة لسانية لأنه وجد عند كل قبيل وبين الناطقين بكل لسان،فإذا جادت القصيدة من الشعر فهي جديدة في كل لغة، فاذا ترجمت القصيدة المطبوعة لم تفقد المزايا الشعرية بالترجمة إلا على غرض واحد وهو أن المترجم لايساوى الناظم في نفسه وموسيقاه[27].

2- إن الشعر تعبير ،وإن الشاعر الذي لايعبر عن نفسه صانع وليس بذي سليقة إنسانية ، فاذا قرأنا ديوان شاعر ولم نعرفه منه ولم نتمثل شخصية صادقة لصاحبه ،فهو الى التنسيق أقرب منه الى التعبير[28].

3- إن الشاعر العظيم من تتجلى في شعره صور كاملة للطبيعة بجمالها وحبه لها ،وعلانيتها وأسرارها،أو أن يستخلص من مجموعة كلامه فلسفة للحياة ، ومذهباً في حقائقها وفروضها أياً كان المذهب[29].

هذا الإتجاه في الشعر هو اتجاه المهجريين ،فهم يعبرون عن وجدانهم تعبيرا صادقا ،فعبدالرحمن شكري يقول في تصدير ديوانه:

ألا ياطائر الفردوس إن الشعر وجدان

ويؤكدالعقاد "**ان المدرستين نبعتا تلقائيا وسارتا متوازيتين ساعيتين الى هدفٍ موحدٍ،هوالهجوم السافرعلى مدرسة الأدب التقليدي والدعوة الى أدبٍ جديدٍ ولاأدل على ذلك من الباعث على هذا الهدف هو ظروف متشابهة ،هي اتصال كل منهما بالآداب والثقافات الأوربية ثم احساس كل منهما بأن اتجاهات الأدب العربي التقليدي لم تكف حاجات العصر المتطور**"[30].

ونرى ايليا أبوماضي يثور على الشعرالتقليدي ويرفضه،يقول:[31]

أنا ماوقفت لكى أشبب بالطلا مالي وللتشبيب بالصهباء

لاتسألوني المدح أو وصف الدمي إني نبذت سفاسف الشعراء

باعوا لأجل المال ماء حيائهم مدحا وبت أصون ماء حيائي

لم يفهمـوا بالشعـر إلا أنه قـد بات واسطة الى الإثراء

قد تأثرالمهجريون بالنزعة الرومانسية الأوربية"وتتشابه مدرسة المهجريين مع المدرسة الرومانسية حتى في أسباب التكوين ،فالرومانسية نشأت في أعقاب الثورة الفرنسية ،والمدرسة المهجرية اتضح كيانها وبرزت ملامحهابعدالحرب العالمية الأولى[32].

هذه أشعار إيليا أبوماضي من قصيدته (أمنية الآلهة) يقول على لسان الآلهة:[33]

أريد دنيا شعـاع يبقى اذا غلبت النجوم

أريد دنيا تحس نفسي فيها نفوسا بلاجسوم

أريد خمرا بلا كئوس من غير ماتنبت الكروم

أريد عطرا بلا زهور يسرى وإن لم يكن نسيم

وماء يموج ولاجدول وناراً بلاحطب تستعر

إستكشاف كنه الطبيعة والأشياء:

امتدت مزية المهجريين الى استكشاف كنه الطبيعة والأشياء ،ففي شعرهم نماذج جيدة وبارعة في الأوصاف المعنوية والطبيعية،وهم فيها محكموا التصوير،بعيدوا المنزع ،دقيقوا الفكرة.وكانت الطبيعة ينبوع إلهام عندالأدباء المهجريين،انظر الى قصيدة القروي "الأمي" ،يديرالشاعر حوارا بين أمي ومثقف وهوجاهل عن سحر الطبيعة:[34]

جلس الفلاح في خيمته ذات عشية

وأجال الطرف في ديوان شعرالأبدية

جدول يجرى كذوب الماس مابين يديه

والندى والعشب والزهر توشى ضفتيه

ونجوم الليل يوقدن سراجاً فسراجاً

يتغامزن ويضحكن ويرقصن إبتهاجا

فدنا منه فتى خريج احدى الجامعات

غافلا لم يعر الشاعر والشعر التفات

قال يا فلاح قل لي هل تعلمت الهجاء

قال ياليت وعيناه ترودان السماء

قال يامسكين أفنيت بداءالجهل عمرك

لوتعلمت لخلدت مع الأعلام ذكرك

وهذا الاتجاه الجديد الذي نرى عندالمهجريين نجد عندالأباء الأندلسيين أيضا،رغم أن بعضا من النقاد القدماء والمعاصرين يرون أن الأدب الأندلسي أدب تقليدي بحت، يقال:ان الصاحب بن عباد عندما رأى كتاب "العقد الفريد" لابن عبدربه قال مستخفا"**هذه بضاعتنا ردت إلينا**"[35] يقصد أن ابن عبدربه عيال في موسوعته الأدبية الكبيرة على مجهودات المشارقة وأنه لم يقدم في هذا الميدان جديدا.

استقرت مقولة الصاحب بن عباد بين الأدباء ،وجعلوا يعيرون عرب الأندلس وينسبون إليهم التقصير في مختلف شئون التفكير[36] حتى كتب أبوعلى بن ربيب القيرواني رسالة إلى ابن حزم الأندلسي يوجه فيها اللوم إلى أهل الأندلس ويتهمهم فيها بالتقصير والتقليد. فانبرى ابن حزم ورد على ابن ربيب برسالة اتهمه فيها بالظلم والابتعاد عن العدل ، وذكر في رسالته فضائل الأندلس ومآثرأهلها ،ويظهر منها أنه يميل إلى تفضيل علماء الأندلس وأدباءه على نظرائهم من المشارقة.

فهو يبتدئ بذكر بلدته ومدينته قرطبة،ويقول:"**فكان أهلها من التمكن في العلوم والنفاذ فيها عندمن ذكرنا،وقد صدق ذلك وأبانته التجربة،فكان أهلها من التمكن في علوم القراءات والروايات ،وحفظ كثير من الفقه ،والبصر بالنحو والشعر ،واللغة والخبر والطب والنجوم بمكان رحب الفضاء**"[37].

يقارن ابن حزم بين بعض رجال الفكر والأدب من أهل الأندلس بغيرهم ممن يوجد في البلدان الأخرى في المشرق،فيقول:"**ونحن اذا ذكرنا أبا الأجرب جعونة بن الصمة الكلابي في الشعر لم نباه به إلا جريراً والفرزدق لكونه في عصرهما ،ولوأنصف لاستشهد بشعره فهو جار على مذهب الأوائل لاعلى طريقة المحدثين...واذا سمينا بقي بن مخلد لم نباه به إلا محمد بن اسماعيل البخاري ومسلم بن الحجاج النيسابوري وسليمان بن الأشعث السجستاني وأحمدبن شعيب النسائي،ويذكر أيضا في الشعر أحمدبن دراج القسطلي ويعتبره من فحول الشعراء ،اذهو كما يقول لايتأخر من شأو بشار وحبيب والمتنبي**"[38].

ويفاخر بصاحب الذخيرة ويقول:"**وهل لكم في الإعتناء بتخليد مآثر فضلاء أقليمه والإجتهاد في حشد محاسنهم مثل ابن بسام صاحب الذخيرة،وهب أنه كان يكون لكم مثله فما تصنع الكيسة في البيت الفارغ**"[39].

وفي بلاغة الأندلسيين في النثر يقول:"**وهل لكم في بلادالنثر كالفتح بن عبدالله الذي إن مدح رفع، وإن ذم وضع، وقد ظهر له ذلك فيي كتاب القلائد**

ماهو أعدل شاهد ،ومثل ابن أبي الخصال في ترسيله ، ومثل أبي الحسن سهل بن مالك الذي بين أظهرنا الآن في خطبه"[40].

ومن النقاد المعاصرين الأستاذ أحمد ضيف يرد تهمة التقليد والتقصير عن الأدب الأندلسي ويقول عن بلاغة العرب في الأندلس:"**كان لعرب الأندلس أدب رائع وشعر بليغ ، ونثر بديع ، وسعة في الخيال ، وقدرة على الابتكار ، وكانت دولة الأدب هناك في عز مجدها ، وأزهى عصورهاوساحتها غاصة بالشعراء ، والكتاب في كل فن من فنون البيان أو مذهب من مذاهب البلاغة..فكان لهؤلاء الكتاب والشعراء أثر عظيم في اللغة العربية وآدابها ، ولاسيما ما ابتكروه من أنواع المعاني والخيال في النظم والنثر**"[41].

ثم يقول:"**إن شعر الأندلس يمتاز في جملته عن الشعر العربي بما فيه من المعاني المبتكرة الجميلة ، والتي كان يعالجها الشعراء هناك من الوضع البديع والكلام الرشيق ، والذوق النقي،والافتنان في أساليب الخيال ،، ولأنه يدل على حياتين ، ويرسم صورتين من أحوال العربي، فبينما ترى الشاعر يصور إلى ذكر بلاده الأولى من حياته البدوية،تجده يذكر الرياض والبساتين والأزهار والأنهار، والمياه الجارية ،وظلال الأشجار والنسيم العليل ، والآراء العامة والخاصة ، وأحوال الإجتماع والعادات**"[42] **كمظهر لحياته الجديدة.ثم يتحدث عن الحياة العقلية،في الأندلس فيقول "وقد نمت مواهب العرب في أسبانيا كما ينمي النبات الصالح للحياة في**

الارض الطيبة ، وظهر أثر ذلك كله في الفنون والعلوم ، كما ظهر في أنواع البلاغة من شعرٍ ونثرٍ مما لم يكن عند سواهم ،ذلك لما كان لهم من النشاط والجد والمثابرة على البحث والتنقيب ، والعمل على فهم ماتركه الناس قبلهم من علوم عقلية أو نقلية، ومن صناعات وفنون ،فكان لهم أثر في كل شيئ ، اطلعوا عليه فألفوا ، ودونوا ، واخترعوا ، ممالايكاد يحصى، حتى أن الحركة العقلية لديهم لم يكن لها مثيل في زمنهم لأنها كانت نتيجة جهودالعقول والقرائح عندالعرب جميعا"[43].

صحيح إن لم تكن الأندلس في بداية أمرها إلا ولاية تابعة للمشرق ، يسودها ماكان يسود من طرائق الحياة وأساليبها ، ثم قامت الدولة الأموية واستقلت، ولكنه كان استقلالاً سياسيا لاأكثر ، فالدولة احتاجت الى دعم ثقافي يسند وجودها ويحفظه من الانهيار ،لم يكن عندالوافدين جديد،فوجدوا الأمان فى كنف الأدب الشرقي وثقافته.

لقد كان الأدب الشرقي نفسه تأثر بآداب الفرس والرومان عندبداية الاحتكاك،لكنه ظل يجتر ويتمثل حتى كفل له التأثر وظهرت سماته في أواخرالقرن الثاني الهجري.

التجديد في مسارالموضوعات الشعرية:

كذلك الأدب الأندلسي لم يقف دائما في موقف النقل والمحاكاة ، بل كان لظروف البيئة وملابساتها دور في تجديد مسار بعض الموضوعات الشعرية التقليدية كالحماسة والفخر والحنين، وبظهور لون الموشحات ثم الأزجال من الشعر إلى الحياة تكون الوجدان الأندلسي المستقل،"**وأخذت سمات الأندلسية تتضح قليلاً قليلاً في أذهان الأندلسيين ووجدانهم ،وتبلورت النزعة الوطنية فنبذت ماهو دخيل عليها ، واتجهت إلى الناس تسبر أغوارهم وتحيط بظروفهم ومشاكلهم وتدرك أبعادهم وآمالهم ، وأكثر من هذا احساس بالاستقلال أنها – النزعة الوطنية– اختارت لنفسها الطريق الذي يلائمها ، وتكونت الصفات المحلية مهما ناقص ذلك مايأتي**

من المشرق العربي ،هنا قبس المشرق طابع الغرب من نسائم جبلي قرطبة الرقيقة ،كانت قرطبة تتقبل كل شيئ وتتمثله وتحوله إلى شيئ آخر بعد تصفيته ، فقد كانت الرايات وملابس الحداد مثلا سوداء فى بغداد ، فأصبحت بيضاء في الأندلس"[44].

يحس الأندلسيون بالتميزالخاص والاستقلال ودفعتهم وطنيتهم الى الإشادة بمكانتهم،يقول ابن حزم:[45]

أنا الشمس في جوالعلوم منيرة ولكن عيبي أن مطلعي الغرب

ولو أنني من جانب الشرق طالع لجد على ما ضاع من ذكرى النهب

ولي نحو أكناف العراق صبابة ولاغرو أن يستوحش الكلف الصب

فإن ينزل الرحمن رحلى بينهم فحينئذ يبدو التأسف والكرب

فكم قائل أغفلته وهو حاضر وأطلب ماعنه تجيئ به الكتب

هنالك يدري أن للبعد غصة وأن كسادالعلم آفته القرب

فواعجبا من غاب عنهم تشوقوا له ، ودنوالمرء من دارهم ذنب

وإن مكانا ضاق عني لضيق على أنه فيح مذاهبه سهب

وإن رجالا ضيعوني لضيع وإن زمانا لم أنل خصبه سغب

الموشحات:

وميخائيل نعيمة في قصيدته (سفر الزمان) يصوغ أشعاراً تشبه الموشحات،وهي فن استحدثها الأندلسيون:[46]

ماأنت في سفرالزمـان العظيم إلا صـدى وصوت الغد

فيك إستوى من قبل أن تولدى قطبا حياة نحن فيها نهيم

لاجوعها يشبع

لاموتها يهجع

لاطامع يقنع

فيـها ولا الزاهــدون

الناس في أسرارها حائرون

والسر ،لويدرون ، فيهم مقيم

نذكر على سبيل المثال بعض أشعار الموشحات المستحدثة على يدالأدباء الأندلسيين.من أجمل الموشحات في وصف الطبيعة موشحة أبي جعفر بن سعيد،وأولها:[47]

ذهــبت شمــس الأصيل

فــضة النــهر

أى نهر كـالمـدامــة

صيـر الظــل فـدامة

نسـجته الـريح لامــة

وثنـت للغـصن لامــة

فـهو كالعـضب الصقـيل

حـــف بالشــفر

ومن غرر موشحات ابن الصباغ في المديح النبوي:[48]

لأحــمد بهجـــة

كالقمـر الــزاهر في

أبـرج الســـــعد

عـــــلاؤيسبـــى

بنـوره البـاهـــــر

كـــل سنـا مجـــد

الحنين والاغتراب:

ومن الخصائص المشتركة بين الأدبين ظاهرة الحنين والإغتراب لدى الشعراء،يقول الشاعر الأندلسي ابن دراج القسطلي:[49]

ولما تدانت للوداع وقد هفا بصدرى منها أنه وزفير

تناشدني عهدالمودة والهوى وفي المهد مبغوم النداء صغير

عيسى بمرجوع الخطاب ولفظه بموقع أهواء النفوس خبير

تبوأ ممنوع القلوب ومهدت له أذرع محفوفة ونحور

عصيت شفيع النفس فيه وقادني رواح لتِدآب السرى وبكور

وطار جناح الشوق بي هفت بها جوانح من ذعر الفراق تطير

ويقول الشاعر المهجري نسيب عريضة متوقيا إلى الحرية:[50]

غريبا من بلاد الشرق جئت بعيدا عن حمى الأحباب عشت

إتخذت أمريكا وطنا عزيزا فكانت لي كأحسن ما اتخذت

أتاها للغنى غيري وإني كما جاؤا مع الإقدام جئت

ولكني طلبت بها حياة مع الحرية المثلى فنلتُ

وأكثر الشعراء الأندلسيون القول في شعرالطبيعة وربما تفوقوا على المشارقة في هذا المجال،أنظر إلى جمال وصف ابن سهل:[51]

أنظر إلى لون الأصيل كأنه لاشك لون مودع لفراق

والشمس تنظر نحوه مصفرة قد خمشت خدا من الإشفاق

لاقت بحمرتها الخليج فألفا خجل الصبا ومدامع العشاق

فلوأن الأصيل يوحى بأنه مفارق مودع، والشمس عاشقة حزينة تخمش خدها من الإشفاق ثم تسقط في الماء لترى في شفقها الدامي خجل الصبا بين مدامع العاشقين ،تصوير يقترب من الحياة،ويكاد ينفخ الروح فيما يصف ،والله إنه لجيد رائع[52].

الهوامش

[1] أدب المهجر،الدكتور صابرعبدالدايم ،دارالمعارف،ط الأولى، ص 211.

[2] بلابل من الشرق،صالح جودت ،دارالكتب المصرية ،ط الأولى ،ص 86.

[3] ديوان "الربيع" ، الياس فرحات،ص 76، ،دارالفراشة بيروت،ط 2001م.

[4] المصدر السابق،ص 143.

[5] الخمائل ،ايليا أبوماضى،دارالمعرفة للطباعة والنشر،ط الثالثة ،ص 98.

[6] أدب المهجر، عبدالدائم، ص 208.

[7] المصدرالسابق، ص 208

[8] المصدرنفسه.

[9] بلاغة العرب فى الأندلس،أحمدضيف ،ص35،المكتبة العصرية ،ط 1342.

[10] أدب المغاربة والأندلسيين ، العلامة الشبيبي ، ص 13،معهدالدراسات العربية بالقاهرة.

[11] الشعرالأندلسى،جارثيا جومث ، ترجمة الدكتور حسين مؤنس ، ص 25-27،سلسلة الألف كتاب ، ادارة الثقافة العامة بوزارة التربية والتعليم ،ط 1952.

[12] بلاغةالعرب فى الاندلس ،ص 280.

[13] الأدب العربى فى الأندلس، ص 163.

[14] الأدب الأندلسى من الفتح الى سقوط الخلافة،أحمدهيكل ، دارالمعارف،ط 1985،ص 132.

[15] المغرب فى حلى المغرب،ابن سعيد الغربى،تحقيق شوقى ضيف،دارالمعارف، ط الأولى، ص 131/1.

[16] الأدب الأندلسى من الفتح الى سقوط الخلافة.ص 62.

[17] المصدرالسابق.

[18] المصدرالسابق.

[19] المرايا المتجاورة جابرعصفور،دارالعلم للملايين،ط 1998،،ص 20.

[20] الإحاطة فى أخبارغرغاطة،لسان الدين الخطيب،تحقيق يوزيانى الدراجى،دارالأمل للدراسات ، ص 347/3.

[21] الحلة السيراء ،ابن الآبار،تحقيق حسين مؤنس ،دارالمعارف،ط الأولى، 1/ 66.

[22] الحلة السيراء ، 37/1.

[23] الفن العربى فى أسبانيا وصيقلية،فون شاك ، ترجة دكتور طاهر أحمدالمكى،دارالمعارف ،ط 1987، ص 66.

[24] الأدب العربى فى الأندلس ص 164.

[25] اتجاهات الشعرالأندلسى الى نهاية القرن الثالث الهجرى، نافح محمود،دارالشؤن الثقافية العامة،ط الأولى ،ص43.

[26] الإحاطة، ص 227/2.

[27] شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى، عباس العقاد،ص 47، دارنهضة مصر ، ط 1937م.

[28] المصدرالسابق،ص 47.

[29] مطالعات فى الكتب والحياة، عباس العقاد، ص 147، دارالمعارف ،ط 1987م.

[30] من حديث العقاد ،المجلة ،عدد أبريل سنة 1955م.

[31] ايليا أبوماضى،الأعمال الشعرية الكاملة ،ص 35، ط 2004م،دارالعودة بيروت.

[32] أدب المهجر،عبدالدائم.ص 226.

[33] الأعمال الشعرية ،ايليا ابوماضى، ص 78.

[34] ديوان الأعاصير ،رشيد سليم الخورى ،مطبعة الشرق ،ط الأولى ،ص 154.

[35] بغية الوعاة ،جلال الدين السيوطى،تحقيق ابوالفضل ابراهيم،الناشر:عيسى الحلبى،ط 1964م، ص196.

[36] الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة،ابن بسام ،تحقيق احسان عباس،دارالثقافة بيروت،ط 1417هـ ، ص135/1.

[37] نفح الطيب ،احمد بن محمد التلمسانى،تحقيق احسان عباس ،دارصادر، ط1979م ، ص 164/3.

[38] نفح الطيب ،دار صادر ، ص 177/3.

[39] نفح الطيب ، ص 192/3.

[40] نفح الطيب ، 3/ 193.

[41] بلاغة العرب فى الأندلس ، أحمد ضيف ، ط1342هـ.ص 36.

[42] المصدرالسابق ، ص 36.

[43] المصدرالسابق، ص 9.

[44] الشعرالأندلسى ، جارثيا جومث ، ص 36.

[45] الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة،ص 145/1.

[46] همس الجفون ، ميخائيل نعيمة ،دارالكتاب العربى لبنان،ط الرابعة،ص 142.

[47] الموشحات الأندلسية ، محمد زكرياعنانى ،سلسلة عالم المعرفة،ط 1980.ص 55.

[48] المصدر السابق ، ص 57.

[49] ديوان ابن دراج القسطلى ، تحقيق محمود على مكى، ص 298،دارالمكتب الاسلامى،دمشق.ط 1961م.

[50] قصة الأدب المهجرى ،محمدعبدالمنعم الخفاجى،دارالكتاب اللبنانى ،ط الأولى ، ص13.

[51] الأدب الأندلسى بين التأثير والتأثر،محمد رجب البيومى ،ادارة الثقافة والنشر جامعة الامام،ط 1980،،ص70.

[52] المصدرالسابق، ص71.